1 – الدور الجزائري في معركة جربة البحرية 1560م

تعتبر موقعة جربة[1]من أكبر وأبرز المعارك البحرية في التاريخ، خاصة في ظل الأحداث المتوالية في الصراع بين الأمبراطورية الإسبانية و الخلافة العثمانية، فقد أصبحت إسبانيا مضطرة لإثبات وجودها في البحر المتوسط فوضعت نصب أعينها جزيرة جربة كهدف استراتيجي لها، و حين وصلت الأخبار لطرغود[2] باشا بالاستعدادات الاسبانية، قام على الفور بإرسال (علج علي) إلى الديوان باستانبول، وأخبرهم بأن النصارى يستعدون تحت إمرة إسبانيا لتجهيز أسطول هائل للقيام بعمل ما، و ربما كان هدفهم جربة[3].

أ) الجبهة الاسبانية و سير الحملة :

يُعد الأسطول النصراني الذي تمّ تشكيله في ذلك الوقت أعظم أسطول نصراني تمّ تشكيله منذ "معركةَ برْوَزة" [4] من حيث التجهيزات، والقادة والأشراف الذين انضمُّوا إليه حيث تكوّن من: مائتي سفينة حربية محمّلة بثلاثين ألف جندي، و كانت القيادة البحرية تحت إمرة القائد "جين اندريا دوريا" (Jine Andrè Doria)، أما القيادة البرية فأسندت لنائب الملك على صقلية "دون جوان دي سيردا" (Don Juan De Serda) ، كما ضمّ

---

1) جزيرة صغيرة بالبحر المتوسط تقع على ساحل تونس شرقي مدينة قابس وهي تابعة للجمهورية التونسية. **انظر:** حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهرة للإعلام العربي، ط1، القاهرة 1978، ص347.

2) طرغوت أو طرغول. **أنظر: الموسوعة التاريخية**، موقع الدرر السنية.

http://www.dorar.net/history

3) علي محمد الصَّلاّبي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السُّقوط**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1، مصر، 2001، ص249.

4) **موقعة بروزة (945هـ/1538م):** تُعد من المعارك البحرية الخالدة فى التاريخ الإسلامى الحديث فقد دعا البابا "بول الثالث" الجيوش الأوربية إلى الاتحاد ضدالعثمانيين، وتكوَّن منهم تحالف بحرى ضمَّ أكثر من (600) سفينة و (60) ألف جندى، يقودها "أندريا دوريا"، وتكوَّن الأسطول الإسلامى من (122) قطعة بحرية، و (22) ألف جندى، والتقى الأسطولان فى (4 جمادى الأولى945هـ / 28 سبتمبر 1538م) أمام "بروزة"، ولم تستمر المعركة أكثر من خمس ساعات تمكَّن فى نهايتها "خير الدين" من حسم المعركة لصالحه، وفر القائد "أندريا دوريا" هربًا بحياته. **انظر:** محمد حرب، **موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي (الدولة العثمانية)**، شركة سفير، ط1، القاهرة، 2000، ص121.

الأسطول الاسباني، الأسطول البابوي بقيادة الأمير"فلامينو أورسليني"[1] (Orselini Flamino) والأسطول الفرولنسي بقيادة "أندريا جونزاج" (Andrè Gonzage) ، إضافة لسفن ألمانية، مالطية، جنوية و سفن موناكو[2].

تحرّك الأسطول من صقلية في (10 فبراير 1560م/986 هـ) ونظرا لسوء حالة الجو لم يتمكن من التجمع والوصول إلى جربة إلا في 2 مايو، وأنزل جنوده في الجزيرة و عندما أنزل الأسطول الصليبي قواته البرية تصدَّت لهم حامية الجزيرة والتي كان عددها (1000 جندي بحري) لمدة خمس أيام متتالية، فلمّا تيقنوا من عدم جدوى المقاومة وتفوق الأعداء العددي والتجهيزي، قاموا بالانسحاب إلى طرابلس وأخذ الأسبان الجزيرة وشيَّدُوا فيها قلعة عظيمة ووضعوا فيها حامية مكونة من (2200 جندي) بقيادة "دون آلفاروا دي ساندي" (Don Alvaro De Sandy) [3].

ب) الجبهة العثمانية و خط سير الأسطول :

في نفس الوقت عاد "علج علي" مع سفينتين حربيتين إلى "طرغود"، وفي إثره قام "بيالي باشا" بتجهيز الأسطول حتى يلحق بالأسبان قبل أن يحاصروا طرابلس الغرب و عندما علم الأسبان بتحرك الأسطول العثماني آثروا انتظاره في جربة [4].

انطلق بيالي باشا وبرفقته 120 سفينة حربية فضمّ إليه في الطريق 6 سفن حربية و24 سفينة نقل، و في نفس الوقت أمر بيالي باشا كل من طرغود باشا في طرابلس، وحسن باشا بربروس في الجزائر أن يكونا على استعداد، و في خلال 25 يوما وصل بيالي باشا إلى جربة و رسى على بعد ثلاثة أميال منها والتقى هناك بأمراء البحار، و عقد مجلس بين أمراء البحر، تم الاتفاق فيه على تطبيق خطة بربروس التي استعملها في "بروزة"[5].

---

4) الصلابي، مرجع سابق، ص250.

2) رحيمة بيشي، **العلاقات السياسية التونسية الإسبانية في أواخر الدولة الحفصية (1498م-1574م)**، مرجع سابق، 167.

3) نبيل عبد الحي رضوان، **جهود العثمانيين لإنقاذ الاندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث** مرجع سابق، ص240.

4) الصّلابي، المرجع السابق، ص249.

5) رضوان، المرجع السابق، ص243.

كان الجناح العثماني تحت قيادة أمير لواء أزميد البحري (علج علي)، و الاحتياط تحت قيادة "علي ريس"، و الأساطيل الخفيفة، تحت قيادة "مصطفى بيالي باشا" (قائد الأسطول في عهد القانوني في حملته على "رودس" منذ 39 سنة) و "قرقود أوغللو أحمد" أمير لواء [1].

ج) مجريات و نتائج المعركة :

جرت معركة جربة بعد "بروزة" و ذلك في (14 مايو 1560م/ رمضان 967هـ) بالقرب من جزيرة جربة، حيث التقى الطرفان (العثمانيين و أسطول التحالف الصليبي) في معركة ضارية، أظهر فيها الطرفان صبر وشدة وفداء، ولكن ما هي إلا عدة ساعات حتى هزم المسلمون النصارى و "أندريا دوريا" أسطورة البحرية الصليبية، الذي كان في قصره بجنوة ينتظر خبر انتصار ابن أخيه الصغير، وعندما علم بخبر الهزيمة الساحقة التي مني بها أسطول الاسبان، بات طريح الفراش من فوره حتى مات من الغم في (25 نوفمبر 1560م/968هـ) [2].

د) معركة جربة البرية (القلعة) :

كان النصارى قد قاموا ببناء قلعة حصينة في جربة وتركوا بها حامية من الجنود فلما انتهت المعركة البحرية لجأت فلول الفارين إلى القلعة وانضمُّوا إلى الحامية وبلغ عددهم 8800 شخص بقيادة "دون آلفاروا" الذي أرسل إليه "فيليب الثاني"[3] ملك إسبانيا

---

1) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا..**، مرجع سابق، ص355.

2) وولف، **الجزائر و أوربا..**، مرجع سابق، ص72.

3) **فيليب الثاني (1527 – 1598):** كان أبوه قد عيّنه قبل ارتقائه العرش حاكما على الأراضي المنخفضة، و فرانش كونتيه و دوقية كيلان، و بعد وفاة زوجته الأولى ماري، وريثة عرش البرتغال تزوج من ماري الأولى ملكة انجلترا، و عادت إنجلترا رسميا عقب وصوله إليها إلى المذهب الكاثوليكي، فمقته الشعب الإنجليزي، و اضطر فيليب إلى الرحيل عنها سنة 1555م دون أن يتوج. واصل حرب أبيه ضد فرنسا، و جعلت معاهدة كاتو- كامبريزي سنة 1559م إسبانيا أقوى دولة في أوربا. بدأ حكمه بشن الحرب (1556- 1557م) على البابا بول الرابع إذ ظن أنه يسعى لطرد الاسبان من إيطاليا، بلغت محاكم التفتيش ذروة نفوذها و سيطرتها إبان حكمه، حيث أدّت إجراءاته القمعية ضد الموريسكيين إلى قيامهم بثورة 1568-1571 قمعها فيليب. انتصر جون النمساوي أخوه غير الشقيق على الأسطول التركي في معركة ليبانتو 1571م، و حينما توفي هنري الأول ملك البرتغال سنة 1580 م دون عقب، إدّعى فيليب الثاني بحقه في وراثة التاج البرتغالي و استولى على=

رسالة مفادها عدم ترك القلعة حتى يموت آخر رجل منهم[1].

قام بيالي باشا و طرغود باشا بمحاصرة قلعة جربة بـــ 14 ألف جندي من البر والبحر، وظل الحصار 63 يوما قَدَّم فيها العثمانيون 1000 شهيد أكثرهم من الضباط و قد أطلق العثمانيون خلال هذه المدة 12 ألف طلقة مدفع، وأكثر من 40 ألف سهم، كما تجلّت و ظهرت في هذه المعركة شجاعة وبطولة (علج علي) [2] .

ظلت المعارك دائرة حتى استطاع العثمانيون إبادة حامية القلعة، والاستيلاء على القلعة في(30 يوليو 1560م/968هـــ)، وتم أسر قائدها "دون آلفاروا" وتم إرساله إلى استانبول ومعه عدد كبير من أمراء البحر والجنرالات الذين أسروا في هذه المعركة الخالدة [3].

2 – معركة المرسى الكبير 1563م

أ) استعدادات الجانبين:

كان حسن بن خير الدين يهيئ العدة لمهاجمة وهران والمرسى الكبير، وهما كل ما تبقى لإسبانيا ببلاد الجزائر، ففي الخامس من شهر فيفري من سنة 1563م، خرج من مدينة الجزائر نحو الغرب على رأس جيش ضخم، مؤلفا من 15000 رجل من رماة البنادق و1000 فارس من الصبايحية يقودهم "أحمد أمقران الزواوي"، 12000 رجل من زواوة و بني عباس، أما المؤن والذخيرة فقد حملها الأسطول الجزائري إلى مستغانم التي اتخذها قاعدة العمليات[4].

وفي الثالث من شهر أفريل وصل بكامل جيشه أمام مدينة وهران ومرساها الكبير فخيّم عليها، وقد كان الإسبان في وهران مستعدين لتلقي الضربة، وراء حصونهم وقلاعهم ومراكز دفاعهم المحكمة، وكانت قيادتهم بيد شقيق قائد وهران الماركيز "دون مارتان"

البرتغال. كان عمله الإداري عموما عادلا و لكنه كان بعيدا عن الرحمة، إقترن بأربع زوجات آخرهن النمساوية "آن" ابنة الامبراطور ماكسيمليان الثاني التي أنجبت له خلفه فيليب الثالث. **أنظر: الموسوعة العربية الميسرة**، مج5، مرجع سابق، ص ص 2509– 2510 .

3) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص 355.

2) رحيمة بيشي، مرجع سابق، ص169.

3) وولف، مرجع سابق، ص172.

4) المدني، المرجع السابق، ص ص 356 – 360.

و هو ابن الكونت دالكوديـــت، الذي أطلق حسن سراحه وسلَّمه جثة أبيه في واقعة مستغانم[1].

واستنجد القائدان بإسبانيا التي أمدَّتهم بأربعة الاف رجل تحت قيادة "دون خوان دي ماندوزا" (Don Juan De Mendoza)، لكن عاصفة هبّت على البحر فأتلفت ثلاث أرباع الأسطول وغرق بما فيه، وكان "الدون خوان" من بين الغرقى ولم يصل إلى وهران سوى 1000 رجل على الأكثر، وبدأت المعركة حيث هاجم الجيش الجزائري حصن القديسين، وتمكن من احتلاله بعد أن حطم جدرانه، ثم وجّه مدافعه نحو قلاع المرسى الكبير[2].

ودامت المعركة يوما كاملا، كان فيه الهجوم الجزائري عنيفا، وكان فيها الدفاع الإسباني مستميتا، وفقد حسن خلال هذه العملية خيرة رجاله الضباط ونحو خمسمئة من مجاهديه، كما أن العاصفة التي حطّمت أسطول النجدة الإسباني، كانت قد أعاقت أيضا الأسطول الجزائري الذي يحمل المدافع الثقيلة والذخيرة والمؤن إلى أرزيو ومستغانم، فلم يصل المدد إلى الجيش الجزائري في الوقت المناسب[3].

ب) مجريات المعركة ونتائجها:

وصل الاسطول الجزائري يحمل المدافع والمؤن بعد مدة، و نصب الجزائريون المدافع في المواقع المناسبة، وبدأوا في قصف حصون وقلاع المرسى الكبير من البر ومن البحر، و ذلك يوم 04 ماي، و قد تلقى المدافعون عن الحصون المدد من وهران و هوجمت القلاع خمس مرات يومي 5 و6 ماي، ولكن دون جدوى، و في يوم 07 ماي هاجم حسن بنفسه الحصن على رأس جماعة من رجاله، وتمكن من رفع العلم الجزائري على ثغرة أحدثها في مركز الدفاع، واندفع منها إلى الداخل، لكنه أصيب بجرح في رأسه ولم يتمكن من اجتياز الثغرة، نظرا لشدة الدفاع[4].

ثم وجّه الهجوم إلى حصن "سان ميشال"، وبعد دفاع كبير غادرت بقايا الحامية الإسبانية جدرانه، تحت وابل من نيران الجزائريين، وانضمت للمدافعين عن القلعة، ثم

---

1) **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص356.

2) نفسه، ص237. **أنظر أيضا:** الصلابي، مرجع سابق، ص 330.

3) المدني، المرجع السابق، ص356- 357.

4) نفسه، ص358. **أنظـــر أيضا:** الميلي،ج3، مرجع سابق، ص100.

تركّز الهجوم على جدران القلعة الأساسية واستمر القصف 24 ساعة، فحطم الكثير منها ويوم 09 أفريل كانت حصون الناحية الغربية قد تحطمت نهائيا، فأمر حسن باشا بالهجوم العام، واستبسل الإسبان في الدفاع عن بقايا الحصون والجدران والخرائب، و تمكّن الجزائريون من احتلال حصن جنوة، ورفع أعلامهم فوق السور، لكنهم لم يستطيعوا الثبات أمام الدفاع الإسباني المركّز، فرجعوا إلى مواقعهم الأولى، بعد أن خلّفوا وراءهم عددا من القتلى، تمكنت في ذلك اليوم سفينة إسبانية من اختراق صفوف الأسطول الجزائري، وبشّرت قائد الحامية أن المدد الإسباني في طريقه إليهم، بـــ 55 سفينة يقودها الأميرال دوريا، فأشتد ساعد الإسبان بهذا الخبر وقويت معنوياتهم، وأرسل حاكم وهران فدائي إسباني يُبشِّر أخاه قائد المرسى الكبير، ويطلب منه المقاومة والصبر[1].

وهكذا استمرت المعارك من الجانبين بصفة مستمرة من يوم 11 ماي إلى غايـــة 05 جوان، ممّا دعى حسن باشا إلى القيام بالمعركة الفاصلة خاصة وأنه علم بقرب وصول النجدة الإسبانية، لكنهم مع هذا لم يستطيعوا أن ينالوا من القلعة، حتى رأوا أسطول النجدة الإسبانية يحمل النجدة المطلوبة للمحاصرين، و أمام هذا الوضع وبعد أن أنهكت المعارك الجيش الجزائري، تَقاتَل الأسطول الجزائري مع الأسطول الإسباني الضخم والتحما في معركة غير متكافئة، مما أدى إلى غرق تسع سفن جزائرية [2].

بعد أن توالت النجدات الاسبانية والبرتغالية على وهران استجابة لنداء حاكمها، ومنذ أن صارت القوات العثمانية على مسافة مرحلتين، وبينهما كان البيلربك نفسه على بعد ست مراحل مما اضطر حسن بن خير الدين الى رفع الحصار قبل وصول المزيد من هذه النجدات التي اتخذت من مالطة مركزاً لتجمعها، وهكذا لم يستطع حسن بن خير الدين من تحقيق هدفه ذلك لأن فيليب الثاني كان قد وضع برنامجاً طموحاً للأسطول الاسباني والبناء البحري في ترسانات إيطاليا وقطالونيا، كما وردت لخزانة اسبانية إعانة من البابوية واجتمعت سلطة قشتالة التشريعة في جلسة غير عادية، وأقرَّت وجوب امداد

1) وولف، مرجـــع ســـابق، ص258.

2) المدني، **حرب الثلاثـــمـــائة سنـــة..**، مرجـــع سابـــق، ص359. الميلي،ج3، مرجع سابـــق ص101.

إسبانيا بمعونات مالية، لتساندها في حربها مع العثمانيين، و كانت ثمرة تلك المجهودات إعادة التنظيم لهيكل إسبانيا وهزيمة العثمانيين في وهران سنة 971هـ/1563م [1].

3- حصار مالطة م1565م

أ) الخلفية التاريخية:

كان السلطان العثماني سليمان القانوني قد عزم على فتح جزيرة مالطة[2]، التي كانت أكبر معقل للمسيحيين في وسط البحر المتوسط، والتي سبق وأن استقر فيها فرسان القديس يوحنا، فأرسل السلطان العثماني أسطوله بقيادة بيالي باشا نفسه، كما طلب من درغوث رايس حاكم طرابلس وجربة، وحسن بن خير الدين أن يتوجها على رأس أسطوليهما الإسلاميين للمشاركة في عملية مالطة وإخضاعها استعداداً لمنازلة بقية المعاقل الإسلامية بعد ذلك، فسار حسن بن خير الدين على رأس عمارة تشمل 25 سفينة وثلاثة آلاف رجل ووصل الأسطول مالطة يوم 18 مايو وفرض الحصار عليها [3].

واستمر الحصار ضيقاً شديداً إلى أن جهّزت المسيحية رجالها وأساطيلها ووصل المدد تحت قيادة نائب الملك في صقلية، برفقة أسطول تعداده 28 سفينة حربية تحمل عدد

---

1) الصلابي، مرجع سابق، ص251.

2) **مالطة:** مجموعة جزر بالبحر الأبيض المتوسط، مساحتها (316 كم^2)، أهمها جزيرة مالطة التي تبلغ مساحتها (216كم2)، وهذه المجموعة من الجزر تقع على بعد (95 كم) جنوبي صقلية، و (300 كم) من الشواطئ التونسية ومثلها من الشواطئ الليبية، وفى منتصف الطريق من قناة السويس ومضيق جبل طارق، أهم مدنها بيركيركارا وسليما. وأغلبية سكانها مسيحيون كاثوليك. كانت بها حضارة الألف الثانية قبل الميلاد، ثم اندثرت فى القرن التاسع قبل الميلاد. استقر بها الفينيقيون، وخضعت للقرطاجنيين فى القرن الخامس قبل الميلاد، ثم الرومان نحو سنة (218 ق.م)، ثم خضعت للإمبراطورية البيزنطية من القرن (5 ق. م)، ثم فتحها المسلمون، وكانت أول محاولة لأسد بن الفرات سنة (828م) ثم فتحت نهائيّا وضمّت إلى إمارة إفريقية، وعندما احتلها روجر غيّر الديانة الرسمية للجزر دون التعرض للجالية العربية المسلمة، ثم طرد فريدريك الثاني العرب منها بكل قسوة ووحشية بين سنتي (1240- 1250م)، ثم هاجمتها القوات العثمانية سنة (1488م)، وفى سنة 1530م أعطيت للفرسان الإسبتارية الذين حكموها حتى هزيمتهم أمام نابليون سنة (1798م) **أنظر:** حرب، مرجع سابق، ص252.

3) وولف، مرجع سابق، ص80.

كبير من المقاتلين ونشبت المعركة بين الطرفين، وتمكّن الأسطول الإسلامي من الانسحاب في 18 ربيع الأول من هذه السنة [1].

وقد كان السلطان سليمان القانوني قد نجح في طرد "فرسان القديس يوحنا" من "رودس" وكان ذلك في بداية عهده، وقد علم الأتراك ان أحد شروط السلام هو موافقة فرسان القديس يوحنا على عدم مهاجمة التجارة العثمانية، ولكن عندما وطّنهم شارل على جزيرة مالطة سنة 1529م وعلى ساحل طرابلس، استأنفت "سفن الدين" كما كانت تسمى مهاجمة السفن العثمانية التجارية بل أنها نزلت إلى الأراضي التركية لأخذ الأرقّاء، وهكذا كانت مالطة في أعين الأتراك عبارة عن شوكة أو عش للنسور كما يقال، تماما كما كانت الجزائر بالنسبة للإسبان[2].

ب) الحصار، تطور المعركة و نتائجها:

كما قرر شارل عدة مرات أن عليه الاستيلاء على الجزائر معقل القراصنة بالنسبة إليه، كذلك سليمان القانوني هو الآخر كان يؤمن بضرورة الاستيلاء على معاقل فرسان القديس يوحنا[3]، وقد كان الاستيلاء على طرابلس في بداية السنوات الخمسين من القرن السادس عشر عبارة عن الخطوة الأولى نحو تصفية المراكز المسيحية الخطرة جدا على الدولة العثمانية، ومن الطبيعي أن تكون مالطة وتونس ومعها حلق الوادي هي الأهداف الطبيعية التالية للأسطول العثماني والجيش [4].

وكان قرار مهاجمة مالطة قد اتخذ سنة 1564م، وفي شهر ماي من السنة الموالية وصلت قوة بحرية أمام الجزيرة وأنزلت الجيش و المؤونة اللازمة لفرض الحصار و طبعا لا يمكن إخفاء هذه التعبئة ولا مكان تواجدها، وقد كان الغرب المسيحي يتوقع حدوث ضربة من العثمانيين، ولكن لم يكن يعرف ما هو هدفها أهي مالطة أم تونس أم حلق الوادي[5].

---

1) وولف، مرجع سابق، ص82.

2) ويليام جيمس ديورَانت، **قصة الحضارة**، تق: محيي الدّين صَابر، تر: زكي نجيب محمُود وآخرون مج 26، دار الجيل، بيروت، 1988، ص126.

3) ديورَانت، مرجع سابق، ص128.

4) نفسه، ص130.

5) وولف، المرجع السابق، ص 80.

أما "جان دولافليت بارزيو"[1](De la Valeete Parisot)، عظيم فرسان القديس يوحنا، فقد كان متأكدا أن جزيرته ستكون هدف الهجوم وقد بذل كل ما في وسعه في الإعداد لمواجهة الخطر، فنادى على كل من يستطيع مناداته من فرسانه الذين كانوا منتشرين في مراكزهم الأوروبية، واستأجر جنودا إضافيين من إيطاليا، ودعم حصونه و وفّر المؤونة للحصار، و لكنه لم يقدر على إقناع أي أمير من أمراء أوروبا بإرسال مساعدة، فالأسبان الذين كانوا مهتمين بحلق الوادي وصقلية، لم يرغبوا في كشف أنفسهم أمام هجوم خاطف، أما شمال أوروبا فقد كان الأمراء منهمكين بمشاغلهم ومشاكلهم الخاصة المتعلقة خصوصا بالإنقسام الديني، وهكذا استعد "جان دولافاليت" ومن معه من الفرسان والذي كان عددهم حوالي تسعة ألاف جندي ليحاربوا ضد العثمانيين[2].

وقد أنزلت القوة العثمانية حوالي أربعين ألف رجل وكمية كبيرة من أجهزة الحصار و لكن قيادتها كانت موزعة بين الأميرال "بيالي باشا"، و"مصطفى باشا" قائد القوات البرية يضاف إلى ذلك أن درغوث حين وصل بفرقته من طرابلس كان يحمل أيضا تعليمات تعطيه حق القيادة[3].

وقد أدّت هجومات العثمانيين إلى تحطيم وسائل الدفاع نظرا لقوتها وشدة بأسها وأوهنت المدافعين وكبّدتهم الخسائر لدرجة أن استمرار المقاومة كان مستحيلا تقريبا، إلا أن فرسان القديس يوحنا، قد استمروا في النضال مؤملين في وصول النجدة، وقد خرج عدد من المدينة مبعوثين حاملين دعوات مستعجلة للنجدة، ولكن نائب صقلية كان لا زال يخشى تحول الأسطول العثماني نحو جزيرته إذا هو كشف تحصيناته، وفي الأخير قرر أن يرسل نجدة صغيرة[4].

---

1) انضم هذا الرجل لفرسان القديس يوحنا في سن العشرين سنة 1522م، وشارك في محاربة العثمانيين وقت حصارهم لجزيرة رودس، وفي سنة 1541م، اعتقله العثمانيون وعمل عبدا بحارا على سفينة الريس عبد الرحمان قاصد علي، و بعد افتدائه اعتقل هو نفسه سيده العثماني السابق.**أنظر:** وولف، المرجع السابق، ص79.

2) وولف ، المرجع السابق، ص85. الميـــلي،ج3، مرجع سابق، ص105.

3) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص 262.

4) ديورَانت ، مرجع سابق، ص128.

وفي الأول من سبتمبر قام الأتراك بهجوم عظيم من أجل إنهاء المعركة التي استمرت عدة شهور، لكنهم لم يستطيعوا ذلك نظرا لصلابة الدفاع، مما كبّدهم خسائر مادية ومعنوية، وفي الأسبوع الثاني من شهر سبتمبر، نزلت قوة النجدة المسيحية على الساحل المقابل لمسرح المعركة وتحركت بحذر نحو خطوط الحصار العثمانية ، واستطاع الأتراك الاستيلاء على حصن "سانت إلمو" بتضحية ستة آلاف رجل، ولم يستولوا على شيء بعده، وأرغمهم وصول الجيش الإسباني على رفع الحصار، وما كان السلطان سليمان القانوني، ليختم حياته بهذه الخاتمة المرة[1].

وكان "ماكسيمليان الثاني"[2] الذي خلف فرديناند على عرش الإمبراطورية قد منع الجزية التي تعهد الوالد بدفعها للسلطان، وهاجم المخافر الأمامية التركية في هنغاريا وقرر السلطان القيام بحملة أخرى فقط، وصمم على أن يقودها بنفسه (1566م)، فسار بمائة ألف رجل عبر صوفيا و بلغراد، وفي ليلة 6 سبتمبر، وفي أثناء حصار حصن زيجتفار، توفي السلطان في خيمته، و سقط الحصن في الثامن من شهر سبتمبر، و كلّف الأتراك حياة 30 ألفاً من الرجال، فعقدت الهدنة، وعاد الجيش أدراجه[3].

4- دور الجزائر في نصرة ثورة الموريسكيين 1568م-1570م

أ) الخلفية التاريخية:

ظل الكثير من الموريسكيين يعيشون في الأندلس رغم سقوط مملكة غرناطة سنة 1492م، وكان هؤلاء الموريسكيون، الذين لقبوا: المدخرون (Mudéjares) أو المدجنون بالإسبانية، يتمتعون بقدر من الحرية الدينية، رغم تعرضهم لبعض التمييز القانوني[4].

---

1) وولف، **الجزائر و أوربا..**، مرجع سابق ، ص180.

2) **ماكسيميليان الثاني (1527 – 1576م)**: ابن فرديناند الأول، تُوج ملكا لألمانيا و ملكا لبوهيميا 1562م، و ملكا لهنغاريا 1563م، و في 1564م خلف اباه امبراطورا منتخبا، عطف على المذهب اللوثري ، و منح رعاياه قسطا كبيرا من الحرية الدينية ، بينما شجع غصلاح الكنيسة الكاثوليكية ، عقد سنة 1568 هدنة مع تركيا ، بمفتضاها وافق على دفع جزية للسلطان عن نصيبه في هنغاريا، مات حين كان يعد العدة لغزو بولندا التي كان قد انتخب ملكا عليها بأقلية من اشرافها، إذ انتخبت الأغلبية ستيفن باثوري. **أنظر: الموسوعة العربية الميسرة**، مج6، مرجع سابق، ص 2984 .

3) ديورَانت، مرجع سابق، ص128.

4) حسين يوسف دويدار، **المدجنون**، مرجع سابق، ص 12.

و رغم أن معاهدة غرناطة نصّت على التسامح مع المسلمين بعد تسليم غرناطة للقشتاليين، إلا أن الملكة إيزابيلا الأولى أصدرت سنة 1499م، مرسومًا يقضي بإجبار جميع مسلمي إسبانيا على التنصر وإلا طردوا من إسبانيا، كما أمرت بإحراق الكثير من الكتب العربية في ساحة البيازين بغرناطة، وقد أدى ذلك إلى اندلاع ثورة في غرناطة (1499-1501م) اعتُبرت انتهاكًا من جانب المسلمين لمعاهدة غرناطة، مما أدى إلى إكراههم على الاختيار بين التنصر والطرد، وفي سنة 1502 ألغت إيزابيلا كل التعهدات الرسمية التي تقضي بالتسامح مع المسلمين في جميع أرجاء مملكة قشتالة، رغم أن مملكة أراگون ظلت تتسامح بشكل ما مع مسلميها، وهو ما ألغاه "الملك كارلوس الخامس" بدوره عقب "ثورة الإخوة" بالإسبانيـــة (Rebelión de las Germanías) التي اندلعت سنة 1526م [1].

وقد أدى ذلك إلى انقضاء الإسلام رسميًا من إسبانيا، ليُعرف المسلمون الذين تحولوا إلى الكاثوليكية باسم الموريسكيين، وقد ظل الكثير من المورسكيين يتحدثون اللغتين العربية والأمازيغـــــية ويرتدون ثياب المسلمين، وظل مسيحيوا إسبانيا ينظرون بريبة إلـــى هؤلاء الموريسكيين ويعتبرونهم مسلمين في السر ومسيحيين غير مخلصين[2].

ب) التهديد العثماني و رد الفعل الاسباني :

في منتصف القرن السادس عشر الميلادي ظهرت دولة الخلافة العثمانية كقوة إسلامية ضاربة في منطقة حوض البحر المتوسط، ونشبت عدة صدامات عسكرية بين الدولة العثمانية وإسبانيا، وقد خشي فيليب الثاني ملك إسبانيا من دعم الموريسكيين لغزو عثماني محتمل لإسبانيا، وهو ما خطط له العثمانيون بالفعل، ولكن البعض أقنع السلطان سليم الثاني باحتلال قبرص بدلاً من إسبانيا لموقعها الاستراتيجي [3].

---

1) نبيل عبد الحي رضوان، **جهود العثمانيين لإنقاذ الاندلس واسترداده في مطلع العصر الحديث** مرجع سابق ، ص18.

2) نفسه، ص19.

3) وولف، مرجع سابق، ص189. ديورَانت، مرجع سابق، ص134.

في سنة 1567م، أصدر الملك فيليب الثاني[1] مرسومًا قضى بإنهاء كل أشكال التسامح مع الثقافة المورسكية، فحظر استخدام اللغتين العربية والأمازيغية (البربرية) ومنع ارتداء الملابس الموريسكية، وأجبر الموريسكيين على التسمي بأسماء مسيحية وأمر بتدمير كل الكتب والوثائق المدونة باللغة العربية، وبتعليم جميع الأطفال المورسكيين على أيدي قساوسة كاثوليك[2].

ج) الثورة الأندلسية و مواجهتها:

تسببت سياسة فيليب الجديدة المتشددة في اندلاع ثورة مسلحة في المناطق التي كانت في الماضي جزءًا من مملكة غرناطة، فخطط للثورة فرج بن فرج – الذي ترجع أصوله إلى بني الأحمر آخر حكام غـــرناطة من المسلمين– ومحمد بن عبو – واسمه الإسباني "دييغو لوبيز" (Diego lopez)، وجمعا القوات وطـــلبا المدد من ملوك شمال إفريقيا وفي ليلة عيد الميلاد من سنة 1568م، اجتمع سرًا جماعة من منفيي ومورسكيي غرناطة والبشرات وغيرهما، وتبرأوا من المسيحية، وبايعوا ابن أمية [3].

واسمه المسيحي فرناندو دي بالور بالإسبانية (Fernando de Valor) ، قائدًا لهم ووريثًا لعرش الدولة الأموية في الأندلس، وبدأ العصيان المسلح على شكل حرب عصابات بدعم عسكري ومالي من الجزائر، ولكن ابن أمية اغتيل سنة 1569م، وخلفه محمد ابن عبو، و أرسل فيليب الثاني قوات عسكرية كبيرة قوامها جنود إسبان وإيطاليون لقمع الثورة على رأسها أخوه غير الشقيق "جوان النمساوي"، ورغم أن الثوار الذين تزايد عددهم باضطراد من أربعة آلاف رجل سنة 1569م، إلى 25 ألف رجل في العام التالي (بينهم جنود من البربر والأتراك)، و رغم أنهم حققوا بعض الانتصارات، إلا أنهم سرعان

---

1) يرى البعض أن فيليب الثاني أصدر هذا المرسوم بنية دفع الموريسكيين للثورة ليتخذ ذلك ذريعة لإبادتهم أو طردهم، أو أنه كان يريد ضمان ولاء الموريسكيين بدمجهم دمجًا كاملًا في المجتمع الإسباني. **انظر:** ديورَانت، مرجع سابق، ص133.

2) نفسه، ص ص190–198.

3) الميلق، مرجع سابق، ص81.

ما خسروا ما كسبوه وقُتل قائدهم ابن عبو، بيد بعض أتباعه في مؤامرة دبرها الإسبان في أحد كهوف "البشرات" في 13 مارس 1571م، ثم أخمدت الثورة سنة1571م [1].

حاول مركيز(بلش- مالقة) إثبات تفوّقه على منافسه مركيز موندیخار فور تسلّمه قيادة المنطقة الشرقية فتوغل بجنوده سريعاً في جبل البشرات واحتل ممر "رباحة" الاستراتيجي لقطع الإمدادات عن الثوار، لكنّ مركيز(بلش) لم يحفظ المداخل فطوّق الثوار الممر وعزلوا الجنود ونشبت معارك متقطعة مُنيت قوات المركيز فيها بخسائر كبيرة اضطرتها إلى الإنسحاب وإعادة التمركز في بلدة "برجة" الواقعة على الجنوب الشرقي من جبل الثلج(نيڤادا)، وتقدّم الثوار إلى البلدة فحاصروها لكن جنود المركيز تمكّنوا من صدهم وألحقوا بهم الخسائر [2].

ولم ينتبه المركيز إلى امتداد الثورة إلى البلدات الواقعة على نهر "المنصورة" إلا بعد فوات الأوان فارتدّ إلى مدينة (عدرة) الواقعة على الساحل، جنوبي "برجة" وبعث يطلب مدّه بالجنود من الجهة الوحيدة المفتوحة أمامه وهي البحر، وذاعت أنباء انتصارات الثوار فتحمّس الأندلسيون في المناطق المحيطة بمدينة "الحامة" وقاموا على القوات القشتالية فانسحبت من أرياف المنطقة ومعها المليشيات القشتالية وتحصنت وراء أسوار المدن، وعمّت بعدها الانتفاضة الجنوب، وبدأ الأندلسيون مناوشات عسكرية حول بعض أهم مدن مملكة غرناطة مثل "مالقة" ، "بلش" ،"مطريل" (Motril) و"المنكب"[3].

وفاجأ تسارع الأحداث "دون خوان" فبعث إلى فليب الثاني يستعجله إمداده بقوات إضافية فأصدر أوامره إلى القائد الأعلى "ريكويسنس" (Ricuiosense) بوقف مسير جيش من الجنود المحترفين إلى إيطاليا لتعزيز القوات الإسبانية تحسّباً من هجوم العثمانيين والتوجه على الفور إلى الجنوب لقمع الثورة في جبال الحامة، واشتبكت قوات ريكويسنس مع الثوار وارغمتها على التراجع، ثم هاجم مدينة "فرجالة" (Frigiliana) التي كانت وقتها من أقوى معاقل الثوار، وحاول ريكويسنس اقتحام المدينة مرات عدّة فمُني بخسائر كبيرة

---

1) الميلق، مرجع سابق، ص83.

2) علي بن محمد المنتصر بالله الكتاني، **إنبعاث الإسلام في الأندلس**، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت، 2005، ص92.

3) نفسه، ص95.

أجبرته على ضرب الحصار حولها، وخرج الثوار الأندلسيون من المدينة إلى القوات القشتالية لكسر الطوق عنها فدارت معركة عنيفة انضمت خلالها مليشيات مالقة إلى قوات ريكويسنس فقلبت الميزان وانكسر الثوار فاقتحمت القوات المشتركة المدينة [1].

واشتركت الأندلسيات إلى جانب الرجال في محاولة منع القوات القشتالية من دخول فرجالة لكن المؤرخ الأميركي "برسكوت" يقول إن جماعات من النساء الأندلسيات فضّلن بعد اقتحام المدينة الانتحار برمي أنفسهن من على الأسوار والشواهق تخلّصاً من الاغتصاب والسبي الذين كان ينتظرهن، ورد الثوار على سقوط فرجالة في منتصف سنة 1569م، بهجوم شنّه نحو خمسة آلاف ثائر على مدينة "سيرون" (Seron) التي كانت احدى المدن التي بقيت بيد القشتاليين في وادي نهر المنصورة الواقع شمال مدينة "المرية" (Almeria) [2]

وأخفق الثوار في أخذ المدينة نتيجة المقاومة العنيفة التي أبدتها الحامية بقيادة "ميرونس" (Mirones)، فضرب عليها الثوار الحصار في 18 يونيو من السنة ذاتها وقطعوا طرق تموينها، وكان "دون خوان" كتب إلى "فيليب الثاني" يقترح عليه نفي سكان مدينة غرناطة بموافقة "دي ديثا" (De Detha)، عندما وصلت إليه أنباء حصار "سيرون" فأمر قائداً عسكرياً يُدعى "ألونصو كربخال" (Alonso karpaghal) بالتوجه لرفع الحصار، لكن فيليب كان سمع بالحصار أيضاً فأمر مركيز (بلش – مالقة) بتولي مهمة إنقاذ الحامية، إلا أن رواية إسبانية تقول إن المدينة استسلمت فدخل الثوار وقتلوا جميع من تخطّى الثانية عشرة من العمر وأسروا النساء والأطفال [3].

انتقم "الدون خوان" لسقوط "سيرون" بنفي معظم سكان مدينة "غرناطة" وامتد هذا الانتقام إلى المسؤول الوحيد الذي أبدى بعض التعاطف مع الغرناطيين فجرّد دون خوان "مركيز موندیخار" من معظم صلاحياته بعد موافقة فيليب الثاني، وكان دون خوان يعتقد أن قيادة القوات القشتالية ستؤول إليه إلا أن فيليب أصر على موقفه السابق وأسند هذه المهمة إلى مركيز (بلش – مالقة)، وهنا اســتاء دون خوان من هذه الخطوة وبدأ حملة

1) الميلق، مرجع سابق، ص98.
2) الكتاني، مرجع سابق، ص95.
3) نفسه، ص92.

لعزله فكتب إلى فيليب الثاني يذكّره بإخفاقاتـــه العسكرية وضمّ إلى صفه "ريكويسنس" الذي أوصى في كتاب إلى الملك فيـــليب بعزل مركيز بلش مالقة فاستجاب وأمر بما اقترحاه[1].

وفيما انشغل دون خوان بإزالة العقبة الأخيرة التي وقفت بينه وبين قيادة الجيش، نقل الثوار عملياتهم إلى الجبال الغربيّة، وأسند ابن أميّة قيادته إلى أخيه الغالب، وانحسرت سلطة جنود فيليب الثاني في الجنوب، وفقدوا السيطرة على أغلب الأرياف، وإزاء هذه التطورات اقترح دون خوان على أخيه خطة شاملة للقضاء على الثورة شرط إمداده بالقوات، فوافق فيليب الثاني وعهد إلى دون خوان إعادة تنظيم الجيش في انتظار وصول التعزيزات، وتولّى دون خوان قيادة المنطقة الشرقية مؤقتاً، فيما تسلّم دوق سيسه مهمة حراسة الطرق والممرات المؤدية إلى غرناطة من جبل البشرات، وأثار احتجاجهم استياء القشتاليين فشكوا الجنود الى السلطة وتوقفوا عن خدمة جنود الحامية فأعلن هؤلاء العصيان [2] .

وبعد التحقيق في الأسباب طرد "دون خوان" 37 ضابطاً من أصل 45 وأعاد السيطرة على الجنود واتخذ غرناطة مقراً عاماً، وبدأ الجنود وقوات المليشيات يتدفقون على غرناطة من المدن القشتالية القريبة، وبات المسرح معداً لشن الهجوم الأخير قبل أن يحل الشتاء بثلوجه ويمنع حركة الجنود، الأمر الذي كان سيؤدي الى تأجيل الحملة ضد الثوار حتى الربيع، ونحو نهاية عام 1569م، استغل الأندلسيون تباطؤ حركة الجيش بسبب الشتاء وقطعوا بعض خطوط التموين مع الشمال فاضطر دون خوان إلى تحريك قواته وشن سلسلة من العمليات العسكرية لإعادة فتح هذه الخطوط[3].

وهكذا قاد "دون خوان" جيشاً من الجنود والمليشيات وحاصر مدينـــة "قالـــيرا" (Galera) الواقعة إلى الشمال الشرقي من "بسطة" في التاسع عشر من جانفي عام 1570م، واستمر هذا الحصار نحو الشهر جرت خلاله مفاوضات لتسليم المدينة، لقاء عهود قطعها "دون خوان" على نفسه بالإبقاء على أرواح أهلها وأملاكهم، لكن ما أن دخلها

1) الميلق، مرجع سابق، ص100.

2) الكتاني، مرجع سابق، ص95.

3) رضوان، مرجع سابق، ص19.

حتى أمر بقتل جميع سكان المدينة المقدّر عددهم بحوالي ثلاثة آلاف، بعد اغتصاب نسائها، و وصلت أعمال القتل والإغتصاب إلى قدر فظيع من الوحشية أرهق الجنود فتفرقوا في كل الاتجاهات صباح اليوم التالي عندما وصلت مجموعات من الأندلسيين لنجدة أهل المدينة[1].

وفي مطلع عام 1570م، بدأت الأساطيل العثمانية تقترب من جزيرة قبرص التي سيطر عليها البنادقة مستغلة انشغال جيوش فيليب الثاني في قمع الثورة الأندلسية، وفي بداية شباط (فبراير) عام 1570م، وجّه العثمانيون إنذاراً نهائياً إلى البندقية بتسليم قبرص التي كانت تُستخدم قاعدة لاعتراض السفن العثمانية والعربية، والإغارة على بعض المدن مثل الإسكندرية، ولجأت البندقية إلى "البابا بيوس الخامس" فعرض على "فيليب الثاني" إنشاء تحالف ضد العثمانيين يستهدف أسطولهم الكبير الذي بدأ يهدد أغلب شواطىء البحر الابيض المتوسط، واقتضت خطة البابا تشكيل قوة بحرية كبيرة من أساطيل البندقية المتحالفة مع أساطيل دول أوروبية أخرى يقودها "فيليب الثاني" بنفسه، على أن تتولى البابوية تمويل هذه الحملة من الضرائب التي أقر البابا بعضها على سائر أهل الكاثوليكية ومن محصلة بيع صكوك الغفران[2].

لم يكن فيليب غادر قشتالة يوماً واحداً منذ أن استلم عرش البلاد، ولم يكن يعتزم مغادرتها آنذاك فاقترح على البابا تسليم قيادة الحملة إلى "دون خوان" فور إخماد الثورة الأندلسية في الجنوب، لكن "دون خوان" لم يكن حتى تلك الفترة في وضع يمكّنه من إنهاء الثورة التي استفحلت وعمّت قسماً كبيراً من مملكة غرناطة، وبات الوقت على غاية كبيرة من الأهمية، وانتقلت الثورة الأندلسية من دورها المحلي المحصور بمملكة غرناطة إلى دور عالمي أعاق قيادة الإسبان واحدة من أهم معارك القرن السادس عشر[3].

د) دعم الجزائر للثورة الموريسكية :

كانت الجزائر هي الدولة الوحيدة التي مدت يد العون الفعالة لثوار الأندلس، من رجال وسلاح وعتاد، و لكن شاء القدر أن تغرق 32 سفينة جزائرية كانت تحمل السلاح

1) الصلابي، مرجع سابق، ص259.

2) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص284.

3) الميلق، مرجع سابق، ص87.

والرجال، كما ان انكشاف الثورة، وإطلاع الإسبان على مخططها كل ذلك حال دون أن تنجح الثورة، و كان "علج علي باشا" قد جهز جيشا عظيما يفوق 14000 رجل من رماة البنادق، مع ستين ألفا من المجاهدين الجزائريين، من مختلف جهات البلاد، وأرسلهم إلى بلاد الاندلس، مع عدد كبير من المدافع، و1400 بعير محملة بالبارود[1].

ويوم الأربعاء المتفق عليه، أي يوم عيد القديسيين كانت أربعون سفينة من الأسطول الجزائري تقف أمام مرسى "ألمرية" الإسباني، استعدادا لاندلاع الثورة، لكن العملية أخفقت بسبب سوء تصرف أحد الثوار مما أدى إلى انكشاف الثورة، ولم تقع في اليوم الموعود وبذلك تعثرت الانطلاقة، ثم أعيد برمجة الثورة بعد ذلك وبعث "علج علي" في شهر جانفي من سنة 1569م أسطول جزائري لتأييد الثائرين، وحاول إنزال الجند الجزائري في الأماكن المتفق عليها، لكن الإسبان كانوا قد عرفوا ذلك من قبل، فتمكنوا من صد الهجوم بالإضافة إلى أن العواصف البحرية والأعاصير قد عرقلت وصول الأسطول الجزائري إلى الأماكن الأخرى على الساحل حتى تمكنه من إنزال المدد، ثم إن هذه الأجواء أدت إلى غرق 32 سفينة جزائرية كانت تحمل السلاح والرجال ولم تتمكن سوى ستة سفن من إنزال شحنتها فوق السواحل الأندلسية [2].

لكن "علج علي" لم يأبه بهذه الكارثة، صمّم على إرسال مدد جديد لمسلمي الأندلس و تمكّن من إنزال أربعة ألاف جندي جزائري، خلال شهر أكتوبر من تلك السنة، و بعض قدماء المحاربين العثمانيين لكي يعملوا في إدارة المعارك، وفي السنة الموالية 1570م أرسل الجزائريون مددا جديدا من الرجال والسلاح إعانة للثورة الأندلسية وكان"علج علي" يريد الذهاب بنفسه ليتولى قيادة الجهاد هناك، لكن الإشاعات حول التعبئة المسيحية لتوجيه ضربة للمسلمين في معركة حاسمة جعلت السلطان يأمره بالبقاء على أهبة الإستعداد في الجزائر [3].

1) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**،مرجع سابق، ص368.

2) نفسه، ص ص 370- 371.

3) الميلق، مرجع سابق، ص 88.

هـ) نتائج الثورة الموريسكية:

بعد نجاح الإسبان في قمع الثورة، نُقل جميع سكان البشرات تقريبًا إلى قشتالة وغرب الأندلس، وأخليت حوالي 270 قرية من سكانها المسلمين ووُطن في بعضها مسيحيون من الشمال الإسباني بينما تُرك البعض الآخر خاويًا على عروشه [1].

كما أمر فيليب الثاني بتشتيت شمل 80 ألفًا من موريسكيي غرناطة في أنحاء متفرقة من مملكته لتفتيت وحدة المجتمع الموريسكي وتسهيل دمجهم في المجتمع المسيحي، إلا أن العكس هو ما حدث، إذ كان لموريسكيي غرناطة المهجرين تأثير كبير في المورسكيين الذين سبقوهم بالتوطن الإجباري في المناطق التي نُقلوا إليها، والذين كانوا على وشك الاندماج فعليًا في تلك المجتمعات [2].

في ليل الأربعاء 22 يونيو 1569 م، دبّت في غرناطة حركة غير عادية إذ تدفقت قوات قشتالية كبيرة على المدينة تحت جنح الظلام وأغلقت أبواب المدينة وضربت حصاراً حول الأحياء الأندلسية، وصباح يوم الخميس الموافــق للتاسع من محرّم سنــة (977 هــ) بعث "دون خوان" المنادين إلى "البيّازين" فأمروا جميع الأندلسيين الغرناطيين ممن تراوح أعمارهم بين العاشرة والستين الاتجاه فوراً إلى أقرب الكنائس إليهم وحذروا بإنزال أشد العقاب بالمخالفين [3].

وعمّ الخوف فهرع أعيان الأندلسيين إلى "دون خوا"ن للاستفسار عن سبب النداء وأكدوا ولاءهم لفيليب الثاني والتزامهم الحياد واعتراف الحاكم العسكري بهم "أندلسيي السلم"، وطمأن "دون خوان" الوفد وشرح أن هدف جمع الرجال هو تعدادهم، وطلب إليهم ضمان تأمين امتثال الأندلسيين للأمر ففعلوا ما أشار به، لكن ما أن دخل الرجال والفتيان الكنائس حتى أغلق الجنود أبوابها وضربوا عليها الحراسة وأبعدوا الأمهات والزوجات اللواتي جئن الكنائس يتوسلن ويبكين من الخوف على أولادهن وأزواجهن وآبائهن[4].

---

1) حكمت ياسين، "**الغزو الاسباني للجزائر في القرن السادس عشر**"، مجلة الأصالة، ع 14-15 الجزائر، 1973، ص239.

2) نفسه، ص241.

3) الكتاني، مرجع سابق، ص115.

4) وولف، مرجع سابق، ص118.

وفجر يوم الجمعة أمرت القوات القشتالية الأندلسيين بالخروج من الكنائس والاصطفاف في صورة أرتال تحرّكت تحت حراسة مُشددة إلى المستشفى الملكي، وكان "دون خوان" كتم سبب جمع الرجال الأندلسيين حتى تلك اللحظة إلا أن حادثاً وقع في الطريق أثار خوف الأندلسيين وكشف المصير الذي ينتظرهم إذ لطم أحد الجنود شاباً غرناطياً ليحضّه على الإسراع فاغتاظ الشاب وضرب الجندي بحجر فاندفع الجنود إليه وقطّعوه بسيوفهم على مرأى الأندلسيين، ثم أوثقوهم كلهم بعد ذلك [1].

و أمضى دون خوان النهار يفرز الأندلسيين فاختار منهم نحو ألفين من العلماء والحرفيين والعالمين في فنون الصناعة والزراعة والبناء، وقسّم الباقي إلى جماعات حُددت لكل منها وجهة مُخصصة لها في قشتالة، وعندها فقط عرف نحو 35.000 غرناطي أن "دون خوان" كان ينفّذ مرسوماً أصدره الملك "فيليب الثاني" بتغريب أهل مدينة غرناطة آخذاً بتوصية كل من "دون خوان" و"بدرو دي ديثا"، وبعد الانتهاء من تغريب الرجال باستثناء من أمر دون خوان استبقاءهم، انتزع القشاتلة الأطفال من أمهاتهم وجرى توزيعهم بإشراف الكنيسة على بيوت القشتاليين لإنشائهم نشأة كاثوليكية، وسمح "دون خوان" للنساء البقاء في غرناطة ريثما يبعن أملاكهن، لكن لا نجد في المصادر التاريخية الإسبانية أي معلومات عما حصل لمعظمهن بعد ذلك [2].

واتّبع "فيليب الثاني" تغريب أهل مدينة غرناطة بتغريب قسم كبير منهم بموجب مرسوم خاص أصدره في الثامن والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) عام 1570م وأشرف "دون خوان" هذه المرة أيضاً على أعمال الترحيل التي جرت وفق نظام الترحيل الأول، إلا أن عدد المُغربين كان كبيراً مما اضطره إلى الاستعانة بقوات "ريكويسنس" ودوق سيسه خوفاً من انفلات الأمور. وفي الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) بدأت أول مجموعة من المُغرّبين الاتجاه إلى منافيها في قشتالة وتبعتها مجموعات أخرى في الاسبوعين اللاحقين [3].

---

1) دويدار، **المدجنون**، مرجع سابق، ص28.

2) الكتاني، مرجع سابق، ص117.

3) دويدار، المرجع السابق، ص48.

ثم توالت أعمال التغريب مع استمرار استسلام الأندلسيين ونزولهم أولاً بأول من ملاجئهم في الجبال، ولم ينته دون خوان من مهمته حتى كان عدد الذين غرّبهم في هذه المرّة الثانية نحو 50.000 أندلسي، وانتهى معظم أطفال الأندلسيين المُغرّبين نهاية أطفال مدينة غرناطة فتوزّعتهم الكنيسة والقشاتلة وانقطعت عنهم أخبار آبائهم وأمهاتهم اللواتي لا نعرف أيضاً ما حدث لهنّ بعد نفي أزواجهن وأولادهن إلى الشمال [1].

و لم يكن هذا مصير الجميع فعندما بدأت الثورة الأندلسية الكبرى كانت غالبية أندلسية تسكن المدن والقرى الواقعة شمال المرية وشرقها مثل "طريلة" (Turrilas) و"طربال"(Tarbal) ونِجـــار (Níjar) وأنوش (Inox) ومجقار (Mojácar) و لقرون (Legaron) والمنتزه (Mantanza) و وبرة (Wabra) ولقينة(Lucainena) وغيرها. وعندما اشتدت المعارك احتمت النساء والأطفال في حصن أنوش (Peñón de Inox) في انتظار فرصة للعبور إلى المغرب لكن جماعات من المرتزقة الأوروبيين والقشاتلة والأرغونيين سمعوا بوجودهم فنزلوا عليهم وسبوا نحو ثلاثة آلاف امرأة وطفل .[2]

وعادت السلطة بعد تغريب معظم سكان مملكة غرناطة الأندلسيين فنفت جزءاً كبيراً من سكان المرية حتى تقلّص عدد سكانها عام 1571م، إلى نحو سبعة آلاف فقط، وسعت السلطات إلى محاولة إعمار تلك المناطق بالمهاجرين القشاتلة وغيرهم إلا انها لم تجد إلا عدداً قليلاً، ولم تستعد هذه المناطق بعض حياتها السابقة إلا بعد نحو 100 عام من نفي سكانها الأندلسيين [3].

ونجد في التاريخ حالات لا تحصى من إنزال العقوبات الجماعية والتجريم بالإرتباط لكنّ الإسبان فعلوا ذلك بمجموعة من القوانين والمراسيم الملكية العجيبة، ففي الرابع والعشرين من شباط 1571م، صدرت مجموعة أوامر معروفة باسم "مجموعة القوانين المحلية الخاصة بمملكة غرناطة" (Ordenanzas de Granada) قُدم لها بالآتي: « لا يجب أخذ الموريسكيين الذين لم يشاركوا في العصيان بجريرة العاصين، وعلينا ألا نرغب في ايذائهم، لكن لن يستطيع هؤلاء من اليوم استغلال أراضيهم لأن محاولة فصل الأبرياء

1) رضوان، **جهود العثمانيين..**، مرجع سابق، ص54.

2) الكتاني، **إنبعاث الإسلام في الأندلس**، مرجع سابق، ص120.

3) دويدار، مرجع سابق، ص48.

عن ... المذنبين مهمة بلا نهاية، وسنعمل بالتأكيد على تعويضهم في المستقبل، لكن أملاكهم ستُصادر في الوقت الراهن مثلهم في ذلك مثل الموريسكيين الثائرين»، ولم يُعوض أندلسيو السلام عن مصادرة أملاكهم التي ذهبت لتغطية نفقات الحرب المُقدّرة بنحو 100 مليون دولار بعملة أميركا اليوم، ومع ذلك نرى في موقف القشتاليين من هذا القانون استهجاناً صارخاً فاعتبروا ما جاء فيه تسامحاً عن الأندلسيين لا يسوّغه العقل[1].

وسعت القوانين والمراسيم التي أصدرتها الحكومة بعد إنهاء الثورة إلى منع عودة الأندلسيين إلى أرضهم وأعادت تشديد القيود المفروضة عليهم، ومن تلك المراسيم مرسوم صدر في السادس من اكتوبر عام 1572م حرّم على الأندلسيين التخاطب بالعربية أو الكتابة بها، وحدّد عقوبة المخالفة الأولى للمرسوم بالسجن مع التكبيل بالحديد مدة 30 يوماً، وضعفي المدة في المخالفة الثانية، والخدمة أربع سنوات في القواديس مع 100 جلدة في حال المخالفة الثالثة.[2]

وجاء في المرسوم أن العثور على وثيقة عربية أو صفحة مكتوبة بالعربية سيعرّض صاحبها للخدمة في القواديس (نوع من السفن السائدة آنذاك) أربع سنوات بعد توقيع 100 جلدة بحقه، وألغى المرسوم أي قيمة قانونية لأي وثيقة أو صك مكتوب بالعربية، وحدد عقوبة جميع المسؤولين عن مثل تلك الوثائق أو الصكوك بمئتي جلدة والعمل سخرة في القواديس ست سنوات، وتضمّن المرسوم عدداً كبيراً من الممنوعات والمحظورات إلا أن أعظم العقوبات كانت بحق الأندلسيين الذين يتركون المناطق السكنية المحددة لهم بعد نفيهم[3].

إذ جاء في المرسوم أن عقوبة القبض على أي أندلسي يراوح سنه بين العاشرة والسابعة عشرة في أي مكان دون عشرة فراسخ من غرناطة سيعرّضه إلى عقوبة الشغل في القواديس بقية أيام حياته، وإذا كان عمره فوق ذلك ستكون عقوبته الإعدام، وألزم

1) الكتاني، مرجع سابق، ص122.
2) رضوان، مرجع سابق، ص58.
3) دويدار، مرجع سابق، ص52.

المرسوم الأندلسيين بضرورة إبلاغ السلطات بفرار أي أندلسي من المنطقة الجديدة المحددة لسكناه[1].

5 – معركة ليبانتو ودور الأسطول الجزائري1571 م

تعتبر معركة ليبانتو من مظاهر العداء بين الجزائر وإسبانيا في حوض البحر المتوسط، حيث قررت إسبانيا نقل الصراع بعيدا عن سواحلها، و إشعال النزعة الصليبية في مواجهة الخطر الإسلامي المتنامي [2].

و نجحت المساعي الإسبانية في معركة ليبانتو التي وقعت يوم 07 أكتوبر سنة1570م ، حيث تمكن "البابا بيوس الخامس" من توحيد الدول المسيحية الأوروبية من أجل القيام بعمل عسكري مشترك لمواجهة الدولة العثمانية فتمّ توقيع الحلف المقدس في 25 ماي سنة 1570م، الذي ضم الإسبان، الألمان الإيطاليين و البابوية، وعُيِّن "الدون جوان النمساوي" قائدا لقوات التحالف الاوروبي[3].

ظهرت في تلك الفترة في أروقة الدولة العثمانية كثير من المشاريع الكبيرة التي استهلكت الكثير من الوقت من الدولة دون أن توضع موضع التنفيذ، أو ربما تعرضت للفشل، حيث فكرت الدولة في فتح قناة السويس (بين البحر الأبيض والبحر الأحمر) لإعادة حركة التجارة العالمية من رأس الرجاء الصالح الذي سيطر عليه البرتغال إلى طريق التجارة القديم[4] .

وقد شرعت الدولة سنة (977هـ/1569م) في فتح قناة بين نهري الدون والفولجا وتأمين المرور بين البحر الأسود وبحر الخرز، حيث إن هذه القناة ستربط تركيا بمنطقة تركستان وتحول دون تهديد الروس والإيرانيين لتركستان، ولذا قامت الدولة العثمانية

---

1) دويدار، **المدجنون**، مرجع سابق، ص59.

2) أحمد سالم ، **السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن 16 م**، مرجع سابق، ص ص 145 – 146.

3) درويش الشافعي، **علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع إسبانيا خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، مرجع سابق، ص 86.

4) نايت بلقاسم، مرجع سابق، ج1، ص160.

بحملة عسكرية على إمارة "أسترخان" لكن فتح هذه القناة المهمة لم يؤخذ مأخذ الجد نظرا لوجود مصالح لحكام الأقاليم تتعارض مع شق مثل هذه القناة [1].

كان العثمانيون رغم المشاريع الكبيرة التي أعلنوا عنها في تلك الفترة يركزون اهتمامهم على فتح جزيرة قبرص [2]، التي كانت عقبة كبيرة في طريق التجارة المنتعشة بين مصر وإستانبول والتي يسيطر عليها البنادقة ويمارسون من خلالها بعض أعمال القرصنة البحرية[3].

أ) أسباب المعركة:

كان على الأوروبيين أن يراقبوا المدافع العثمانية، لأن سلاطين آل عثمان كانوا قد أعلنوا عن عزمهم على تحويل أوروبا بأسرها إلى الإسلام، خاصة أن رصيدهم البشري وثروات مملكتهم الزاحفة في كل مكان هيّأت لهم أكبر جيش وأحسنه عتاداً وعدة في أوربا، وكان عدد الانكشارية وحدهم خمسين ألفاً، وربما كان خلاص الغرب وخلاص المسيحية في ترامي أطراف الإمبراطورية العثمانية على هذا النحو، فما كانت المسافات البعيدة لتساعد على تجميع الموارد المبعثرة في الوقت المناسب، كما أن السلاطين، ولو أنهم شكلوا أسرة حاكمة أبقى على الزمن من أية أسرة حاكمة مسيحية، دب فيهم الفساد وانتابهم التدهور حيث تهيأت "للحريم" فرصة لتحقيق مآربهن، وكانوا يكلون أمور الحكم إلى وزراء مؤقتين سريعي الزوال، نزع بهم تزعزع مراكزهم إلى التخفيف من وطأة سقوطهم واعتزال مناصبهم، بجمع الثروات أيام سطوتهم [4].

وهناك من يقول أن "سليم الثاني" الذي خلف سليمان القانوني 1566م، حاكماً منحلاً خاملاً، لم تتجلى عبقريتـــه إلا في أنه عهـــد بالإدارة والسياســـة إلى وزيـــره القدير

---

1) جون وولف، **الجزائر و أوربا**، مرجع سابق، ص198.

2) **قبرص:** جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، عاصمتها نيقوسيا، معظم سكانها يونان و بها أقليّة تركية، و هي سهل فسيح تخترقه سلسلتان جبليتان، دخلتها المسيحية على يد القديس بولس وبرنابا أعطيت 1192م، لأسرة لوزينيان الفرنسية في اثناء الحرب الصليبية، و استولت عليها البندقية، ثم الدولة العثمانية سنة 1571م ، و لاحقا بريطانيا سنة 1878م. **أنظر: الموسوعة العربية الميســـرة** مج 5، مرجع سابق، ص 2538.

3) وولف، مرجع سابق، ص199.

4) ديورَانت، مرجع سابق، ص150.

"محمد سوكللي"، وانقطعت غارات الأتراك على الإمبراطورية الرومانية المقدسة لأن الإمبراطور "مكسيمليان الثاني" اشترى السلام مقابل جزية سنوية قدرها 30 ألف دوكات وكانت ممتلكات البندقية لا تزال متناثرة في بحر إيجة، تعوق أساطيل تركيا وتجارتها فتوجه الاسطول العثماني لمهاجمة قبرص وأهابت البندقية بالدول المسيحية لنجدتها، فلم يستجب لندائها إلا البابا وإسبانيا، فإن بيوس الخامس لم يكن قد نسي أن الأسطول التركي في 1566م، هدّد "أنكونا" ثغر البابا وقلعته على الأدرياتيك[1].

كما علم فيليب الثاني أن عرب الأندلس استصرخوا السلطان لإنقاذهم من ويلات الحكم الأسباني (1561م) وأن السلطان رحب بمبعوثيهم إليه، وكان الموقف الدبلوماسي مواتيا، ذلك أن الإمبراطور لم يكن يشترك في الحرب ضد تركيا، لأنه كان قد وقع من فوره معاهدة سلام معها ولم يكــن من الشرف ولا في مصلحة أمنه أن ينقضها وعارضت فرنسا أية خطة تزيد من قــوة إسبانيا وترفع من شأنها ووثقت عرى الصداقة مع الأتراك [2].

وخشيت إنجلترا مغبّة الدخول في مغامرة مشتركة مع فيليب يجعلها تحت رحمة إسبانيا الكاثوليكية في حالة انتصارها، وساور البندقية بعض القلق من أن الانتصار قد يأتي بالقوات الإسبانية إلى الأدرياتيك، فتقضي على احتكار البندقية لهذا البحر وسيطرتها عليه، وقضى "بيوس" عاماً كاملاً في التغلب على هذه الحيرة والتردد، وكان عليه أن يرضى باستخدام البندقية وإسبانيا لأموال الكنيسة، وأخيراً في 20 مايو 1571م، انضمّ الثلاث في "عصبة مقدسة" واستعدت للحرب[3].

وفي أثناء هذه المفاوضات تقدم الهجوم التركي على قبرص، مع خسائر جسيمة تكبدها الطرفان، وسقطت "نيقوسيا" بعد حصار دام خمسة وأربعين يوماً، وأعدم بحد السيف عشرون ألفاً من سكانها[4].

---

1) وولف، مرجع سابق، ص175.

2) المدني، **حرب الثلاثمائة..**، مرجع سابق، ص 372 – 373

3) ديورَانت، **قصة الحضارة**، مرجع سابق، ص152.

4) المدني، المرجع السابق، ص348.

ب) الإستعداد للمعركة:

كانت الظروف تستحث العصبة المقدسة على العمل، فجمعت قواتها، وأسهمت بالسفن والرجال، كل من فلورنسا وبارما ولوكا وفرانا وأربينو وجنوه، عدو البندقية القديم، وفي 16 سبتمبر، أبحر الأسطول الضخم (الأرمادا) من "مسينا" إلى جزيرة "كورفو" في محاذاة جنوبي إيطاليا، عبر مضيق "أوترانتو"، و أصدر دون جوان أوامره بالانطلاق إلى القتال [1].

كانت قبرص تمثل أهمية خاصة للعالم المسيحي في صراعه مع الدولة العثمانية وعندما علمت أوروبا بنوايا العثمانيين تجاه قبرص تحرك البابا "بيوس الخامس" وعقد معاهدة اتفاق ضد الدولة العثمانية في (غرة المحرم 979هـ/25 مايو 1571م) مع ملك إسبانيا والبندقية وبعض الدويلات المسيحية، وكان هذا الاتفاق المسيحي هو الاتفاق الثالث عشر الذي تعقده أوربا ضد الدولة العثمانية منذ تأسيسها[2].

ونص الكتاب الذي أرسله البابا "بيوس" إلى ملك إسبانيا على "أنه لا توجد في العالم المسيحي أية دولة مسيحية يمكنها أن تقف بمفردها في مواجهة الدولة العثمانية ولذا فالواجب على كافة الدول المسيحية أن تتحد لكسر الغرور التركي"، وهكذا بدأ يتشكل الائتلاف المسيحي لحرب الدولة العثمانية، واستطاعت أجهزة المخابرات العثمانية في البندقية وروما أن ترصد هذا الاتفاق وهو في طور التكوين وأبلغت به إستانبول، وتحرك الأسطول العثماني للبحث عن الأسطول الصليبي وإبادته، وتحرك الوزير العثماني "برتو باشا" قائد الأسطول لتنفيذ تلك المهمة[3].

ج) احتدام المعركة وتطورها:

كان التحالف المسيحي القوي الذي تغذيه مشاعر الكراهية للدولة العثمانية يتمتع بأسطول على قدر كبير من القوة والخبرة في القتال البحري والكثافة في عدد السفن ووجود عدد من كبار قادة البحر، فكانت "الأرمادا" تضم 295 سفينة و30 ألف جندي و16

---

1) نجيب دكاني، **الإحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي**، رسالة ماجستير، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر 2001 – 2002، ص127.

2) وولف، مرجع سابق، ص 192.

3) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص ص 372 – 373.

ألف جداف و208 سفينة حربية[1]، وكان القائد العام للأسطول هو "دون جون" وهو ابن غير شرعي للإمبراطور الأسباني "كارلوس الثاني" وهو من كبار قادة البحر[2].

أما الأسطول العثماني في البحر المتوسط والبالغ حوالي 400 سفينة فقد توزعت سفنه عند حلول فصل الخريف إلى عدد من القواعد، وبقيت حوالي 184 سفينة تحت قيادة "برتو باشا" و"مؤذن باشا" وذهبت هذه السفن إلى ميناء "إينبختي" أو "ليبانتو (Lepanto) وكان ميناء عثمانيا في اليونان على خليجي باتراس–كورنثوس [5] .

وعندما حل فصل الشتاء على السفن التي يقودها "برتو باشا" بدأ الضباط في التسرب لقضاء الشتاء بعدما رأوا السفن العثمانية ألقت مراسيها في "إينبختي" ظنا منهم أنه لن يوجد قتال في هذا الموسم، ولم تظهر من "برتو" أو "مؤذن" قدرة على ضبط الأسطول إضافة إلى أنه كان يوجد عدد من السفن في حاجة إلى إصلاح، كما أن جدافة الأسطول العثماني كانوا من المسيحيين [3].

وكانت النقطة المهمة في الأمر أن القائدين "برتو باشا" و" علي باشا" لم يكونا من القادة البحريين ولكنهما من قادة الجيش البري وتوليا مهمة قيادة الأسطول منذ فترة وجيزة، وكان يوجد بعض القادة البحريين في الأسطول العثماني مثل "حسن باشا" ، و"علج علي باشا" ، لكن لم تكن لهما السيطرة على القرار [4].

عندما اقترب الأسطول الصليبي من ميناء "إينبختي" الذي يرسو فيه الأسطول العثماني اجتمع "برتو باشا" مع كبار قادة البحر لبحث الموقف، انفضّ الاجتماع دون أن يتوصل القادة إلى خطة لمواجهة المعركة القادمة التي لا يفصل بينها وبينهم إلا وقت قصير، و كانت المؤشرات تؤكد أن هناك ميلا لما يطرحه "برتو باشا" و"مؤذن باشا" لمواجهة الموقف المتأزم على اعتبار أنهما المسؤولين أمام الدولة في إستانبول [5].

وكان رأي القادة البحريين في الأسطول هو عدم الدخول في هذه المعركة – غير المتكافئة– إلا بعد أن تقصف المدافع العثمانية سفن العدو وتتلفها، وهو ما يعطي فرصة

---

4) وولف، المرجع السابق، ص198.

5) نفسه، ص82.

3) ديورَانت، مرجع سابق، ص152.

4) الصلابي، مرجع سابق، ص222.

5) نفسه، ص199.

كبيرة لسفن الأسطول العثماني لتتبع ومطاردة الأسطول الصليبي، ولكن "برتو باشا" و"مؤذن باشا" أعلنا أنهما تسلما أمرا بالهجوم على الأسطول الصليبي، و لما رأى قادة البحر في الأسطول العثماني ذلك نصحوهما بأن يخرجا إلى القتال في البحار المفتوحة لأن ذلك يعطي الفرصة للسفن العثمانية بأن تقوم بالمناورة وأن تستخدم مدفعيتها القوية بكفاءة عالية ضد الأسطول الصليبي، إلا أن "برتو" وغيره من القادة لم يستمعوا إلى هذه النصائح [1].

تحرك الأسطول الاسباني عبر خليج "بتراس" إلى خليج "كورنت"، وكان الأسطول التركي ينتظر بعيداً عن ثغر ليبانتو، وهو يضم 222 سفينة شراعية كبيرة، و60 سفينة صغيرة، و570 مدفعاً، و24 ألف جندي، و13 ألف ملاح، و41 ألف مجدف، و كان عند المسيحيين 207 سفينة شراعية، وست سفن شراعية ضخمة تحمل المدافع، و30 سفينة صغيرة و 1800 مدفع و30 ألف جندي و13 ألف وتسعمائة ملاح، و43 ألف جندي تقدم الأسطولان نحو بعضهما بكل عزم، وكان خوان قد وضع سفن البندقية الستة الكبيرة والتي تحمل كل منها ستين مدفعا في مقدمة خطه المتكون من نصف دائرة كبيرة[2].

كانت هذه السفن الجبارة التي تحمل كل منها ستين مدفعا قادرة على اختراق جانب أي سفينة، فهي تشبه المدرعات، وكان الأسطول العثماني قد تجمع هو الآخر على شكل نصف دائرة عظيمة على الجانب الداخلي لخليج ليبانتو، و كان طرفا نصف دائرة يكادان من تباعدهما يلامسان الشاطئ بصفة تعرض الأسطول للخطر، و اقترب الأسطولان من بعضهما ببطء وحذر، بإستعمال مجاديف قصيرة، وبدأ تبادل إطلاق النار عندما أصبحت السفن داخل مجال المدفعية، ثم اشتبك الأسطولان، و تصارعا سفينة لسفينة، بينما كان الرجال يندفعون نحو أطراف السفن[3].

د) النتائج و الإنعكاسات :

تعد معركة "ليبانتو" في (17 من جمادى الأولى 979هـ/7 من أكتوبر 1571م) من أكبر الحروب البحرية في التاريخ في ذلك الوقت، واتسمت بالدموية والعنف الشديد فاستشهد قائد القوة البحرية "مؤذن–علي باشا" وابنه مع بداية المعركة كما أسر ابنه الثاني

1) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص372.

2) التر، مرجع سابق، ص210.

3) الصلابي، مرجع سابق، ص223.

وغرقت سفينة القيادة في الأسطول العثماني التي فيها "برتو باشا" وتم سحبها إلى الشاطئ بتضحيات كبيرة، أما القائد البحري العثماني "علج علي" الذي كان يقود الجناح الأيمن فإنه لم يخسر أيا من سفنه البالغة 42 سفينة واستطاع أن يقضي على الأسطول المالطي بالكامل الذي يتكون من ست سفن واغتنم رايته، وعندما رأى أن الهزيمة تقع بالأسطول العثماني وأن التدخل لإنقاذه هو انتحار مؤكد، رأى أن من الحكمة الابتعاد عن الميدان حفاظا على بقية الأسطول والاستعداد لمعركة قادمة [1].

كانت الخسائر في تلك المعركة ضخمة للغاية لكلا الطرفين، فقد خسر العثمانيون 142 سفينة بين غارقة وجانحة وأسر الصليبيون 60 سفينة عثمانية، واستولوا كذلك على 117 مدفعا كبيرا، و256 مدفعا صغيرا، كما تم تخليص 30 ألف جداف مسيحي كانوا في الأسر، وسقط من العثمانيين حوالي 20 ألف قتيل وأسير، من بينهم 3460 أسيرا، ومن بين الأسرى 3 برتبة لواء بحري، وحاز الصليبيون راية "مؤذن باشا" الحريرية المطرزة بالذهب، وقد أعادها بابا روما إلى تركيا سنة (1385هـ/1965م) كتعبيرعن الصداقة بين الجانبين [2].

وقتل من الصليبيين حوالي 8 آلاف وسقط 20 ألف جريح، وأصيبت غالبية السفن المسيحية، وحُرّر نحو 12 ألفاً من الأرقاء المسيحيين الذين كانوا يقومون بالتجديف على المراكب العثمانية، وفقد المسيحيون، وقتل منهم 7500 رجل من بينهم أفراد من أعرق وأشهر الأسر في إيطاليا، ولا نزاع في أن معركة ليبانتو كانت أعظم معركة بحرية في التاريخ الحديث، والواقع أن خسائر العثمانيين المعنوية كانت أشد فداحة من خسائرهم المادية، حيث كانت تلك المعركة الكبيرة ذات مردود سلبي في علاقة الدولة العثمانية بالأوربيين، فزال من نفوس الأوربيين أن الدولة العثمانية دولة لا تقهر، وهو ما شجع التحالفات الأوربية ضدها بعد ذلك، وظهرت المراهنات على هزيمتها [3].

ورغم هذا الانتصار الباهر للأوربيين في معركة "ليبانتو" البحرية فإن الأوربيين لم يستطيعوا استغلال هذا الانتصار الكبير من الناحية الإستراتيجية، فقد استطاع العثمانيون بعد أقل من عام واحد على هذه الهزيمة بناء أسطول جديد كان أكثر قوة وعددا من

1) وولف، مرجع سابق، ص89.

2) نفسه، ص 227 .

3) وولف، المرجع السابق، ص225 .

الأسطول الذي تحطم في تلك المعركة، وهو ما أثبت أن الدولة العثمانية ما زالت تحتفظ بقوتها وأنها تستطيع في الوقت القليل تعويض الفاقد من قوتها وخسائرها نظرا لما تتمتع به الدولة من موارد وطاقات ضخمة [1].

ومن المفارقة أنه بينما كانت البندقية وغيرها من الدول التي شاركت في ليبانتو يشربون كؤوس الانتصار وينحتون التماثيل تخليدا لذلك الانتصار الكبير، كان العثمانيون يعملون على قدم وساق في بناء أسطولهم الجديد، حتى إن السلطان العثماني نفسه خصص جزءا من حديقته الخاصة لإنشاء مصنع لبناء 8 سفن جديدة، واستطاع العثمانيون خلال الشتاء الذي أعقب "ليبانتو" أن يشيدوا ما يقرب من 153 سفينة حربية [2].

ولم ينس العثمانيون تقوية الروح المعنوية لشعبهم، وتذكيرهم بأن خسارة معركة لا تعني بحال من الأحوال خسارة الصراع، ولذا قام "علج علي باشا" القائد البحري بالدخول إلى إستانبول بعد الهزيمة بحوالي شهرين في أسطول كبير مكون من 87 سفينة وتمت ترقيته إلى قائد القوات البحرية، و لم يلبث "علج علي باشا" أن غادر إستانبول مع 245 سفينة في (صفر 980هـ/ يونيو 1572) للدفاع عن قبرص بعدما علم أن الأسطول الصليبي يسعى للاستيلاء عليها، وعندما رأى "دون جون" الأسطول العثماني متجها نحوه أدرك أنه ليس في استطاعته مقاتلته بعدما تمكن العثمانيون من تعويض خسائرهم[3].

ولم تنس الدولة العثمانية القصاص لهزيمتها في ليبانتو فعقدت معاهدة مع البندقية في (7 من مارس 1573م) تكونت من سبعة بنود منها: أن تسدد البندقية إلى الدولة العثمانية 300 ألف ليرة ذهبية كغرامة حرب، وأن تعترف بالسيادة العثمانية على قبرص، وبعد أقل من عام تم تدمير سواحل إيطاليا الجنوبية[4].

6 – الجزائر و دورها في تحرير تونس 1574

بقيت تونس تمثل إحدى النقاط الساخنة التي اشتد بشأنها الصراع بين الطرفين في هذه الفترة، فقد صارت تمثل محور الصراع، وهي تمثل إلى جانب نابولي، و صقلية وجزيرة مالطة الحدود الإسبانية، التي تفصل الحوض الغربي للمتوسط الخاضع للسيطرة

1) التر، مرجع سابق، ص190.

2) نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص188.

3) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص ص 372- 373

4) نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص189.

الإسبانية، عن شرقه الواقع تحت نفوذ الدولة العثمانية، وقد قام الجزائريون بعدة محاولات لتخليص تونس من الهيمنة الإسبانية، التي عانى منها التونسيون، كانت أولها محاولة خير الدين في سنة 1534م، ثم في سنة1569م، حيث توجه علج علي تلبيية لنداء أهلها الراغبين في التخلص من حاكمهم أبو العباس أحمد الموالي للإسبان[1].

كان فيليب الثاني قد تشجع لاحتلال تونس بسبب لجوء السلطان الحفصي أبي العباس الثاني إليه، و هو الذي حكم تونس في الفترة (942 – 980هـ/ 1535 – 1572م) وطلب منه المساعدة في إخماد الثورات بإعطائهم امتيازات كبيرة، فرفض أبو العباس الشروط ولكن أخاه محمد بن الحسين قبلها بعد ذلك خرج "دون جون" بأسطوله من جزيرة صقلية في رجب 981هـ /اكتوبر 1573م، على رأس أسطول مكون من 138 سفينة تحمل خمسة وعشرون ألف مقاتل، ونزل بقلعة حلق الواد التي كانت تحتلها إسبانيا ثم باغت دون جون تونس واحتلها وخرج أهلها بوادي تونس فارين بدينهم من شر الاسبان، كما انسحب الحاكم العثماني الى القيروان [2].

أ) علج علي واستعداداته الحربية:

اهتم علج علي بتسليح البحارة وتدريبهم على الأسلحة النارية الحديثة، وقد لفت هذا النشاط البحري أنظار كل المقيمين الأجانب، وازدادت مكانة علج علي حتى أن البابا نصح فيليب الثاني ملك إسبانيا أن يسعى لاغرائه وذلك بمنحه راتباً من عشرة آلاف واقطاعية من مملكة نابلس أو غيرها من ممتلكات العرش الاسباني ويتوارثها نسله من بعده، مع لقب كونت أو ماركيز أو دوق، كما شمل المشروع أيضاً منح امتيازات مماثلة لاثنين من مساعديه [3].

و كان البابا يدرك أن مثل هذه المحاولة أن لم تنجح فإنها على الأقل ستثير شكوك السلطان على علج علي وهو الشخص الوحيد القادر على دعم أمور السلطنة ولكن هذه المحاولة فشلت وكانت النتيجة أنها أثارت غضب علج علي بدلاً من أن تقربه [4]

---

1) درويش، مرجع سابق، ص68.

2) وولف، مرجع سابق، ص220.

3) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص375 – 376.

4) علي محمد الصَّلاّبي، **الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السُّقوط** ، مرجع سابق، ص332.

ب) تحرير تونس 1574م:

أصدر السلطان سليم الثاني أوامره إلى وزيره سنان باشا وقبودانه علج علي بالاستعداد للتوجه إلى تونس لفتحها نهائياً، و إعادة نفوذ الدولة العثمانية إليها[1].

كما صدرت نفس الأوامر والتوجيهات لبقية الأقاليم بتحضير الجنود والذخيرة والمؤن والجنود مع مائتين وثلاث وثمانين سفينة مختلفة الأحجام، كما أكد على المكلفين بالخدمة في الأناضولي والروملي بالإشتراك في السفر بحراً، كما أحضر المجدفين اللازمين للأسطول، وأنذر من لايحضر من المجدفين بالفصل من مناصبهم على أن لايسند إليهم في المستقبل أي عمل، وبينما كان الأسطول يتأهب، أخذ "حيدر باشا" الحاكم العثماني في تونس والذي انسحب للقيروان في حشد المجاهدين من الأهالي الذين التفوا حوله[2].

أبحر الأسطول العثماني بقيـــادة "سنان باشا" و "علج علي" في 23 محرم 982هـــ / 14 مايو 1574م، فخرج من المضائق ونشر أشرعته في البحر الأبيض، فقاموا بضرب ساحل "كالابريا" و "مسينا"، واستطاع العثمانيون أن يستولوا على سفينة مسيحية ومن هناك قطعوا عرض البحر في خمسة أيام، في هذا الوقت وصل الحاكم العثماني في تونس "حيدر باشا"، كما وصلت قوة من الجزائريين بقيادة "رمضان باشا"، وقوة طرابلس بقيادة "مصطفى باشا"، كما وصل ثمة متطوعين من مصر [3].

بدأ القتال في ربيع سنة 981هـــ/ 1574م، ونجح العثمانيون في الإستيلاء على حلق الواد، بعد أن حوصروا حصاراً محكماً وقامت قوات أخرى بمحاصرة مدينة تونس، فَفَرَّ الاسبان الموجودين فيها ومعهم الملك الحفصي محمد بن الحسين إلى "البستيون" التي بالغ الاسبان في تحصينها وجعلوه من أمنع الحصون في الشمال الأفريقي[4].

توجه العثمانيون بعد تجمع قواتهم إلى حصار البستيون، وضيق العثمانيون الخناق على أهلها من كل ناحية وباشر الوزير سنان الحرب بنفسه كواحد من الجند حتى أنه أمر بعمل متراس يشرف منه على قتال من في البستيون كما كان ينقل الحجارة والتراب على

---

1) سالم، مرجع سابق، ص 150.

2) الصلابي، مرجع سابق، ص335.

3) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص378.

4) الصلابي، المرجع السابق، ص336.

ظهره مثل الجنود، وشدد الحصار حتى فتح الحصن، و تم بذلك فتح تونس و ضمها نهائيا للخلافة العثمانية [1].

7 – آخر محاولة جزائرية لإنقاذ مسلمي الأندلس1609 م

رغم الخيبة التي منيت بها الثورة الأندلسية الكبرى سنة 1570م، فإن بقايا الاندلسيين الذين نجوا من المذابح ومن الفظائع والذين آثروا البقاء في وطنهم لم يفقدوا الأمل في إنقاذ جزء من وطنهم يلجأون إليه، ويستقرون فيه، و يرجعون إليه من شاء الرجوع من أبناء عمومتهم وإخوانهم الذين شردوا وراء البحار[2].

أ) قانون الطرد الأكبر1609 م:

في الثلاثون من شهر جانفي عام 1608 م، اجتمع مجلس الدولة بكامل أفراده ووافق بالإجماع على طرد الموريسكيين جميعًا من الأراضي الإسبانية، وكان دوق "ليرما" رئيس المتحمسين في اتخاذ قرار الطرد بحجة فشل كل حملات التنصير في مملكة "بلنسية" و بسبب أوضاع الدولة العثمانية والمغرب[3].

وبقي على المجلس النظر في حل مشكلة الخسارة المادية التي ستلحق بالنبلاء بسبب طرد خدامهم الموريسكيين في مملكة بلنسية، ففكر المجلس في ضرورة تعويضهم بسخاء بأموال الموريسكيين المطرودين، ولم يتكلم بتفصيل في جلسات المجلس هذه إلا عن طرد مورسكيي بلنسية، وأما موريسكيي مملكة أراغون القديمة "سرقسطة"، فقد قرر المجلس إرسال كتب في الوقت الراهن إلى نبلائها لإخبارهم بعدم حدوث أي قرار جديد في أمرهم، أما فيما يخص مورسكيي مملكة "قشتالة" (بما فيها الأندلس)، فقد رأى المجلس أن إخراجهم من جبال البشرات كان خطأ كبيرًا، وكان الضرر أقل لو تركوا هناك عوضًا عن توزيعهم على كل أنحاء المملكة [4].

وعند الانتهاء من طرد موريسكيي "بلنسية" يمكن النظر في إمكانية إرجاعهم إلى البشرات أو توزيعهم على النصارى القدامى، مع منعهم من الحصول على أملاك ثابتة أو الاتجار أو الحصول على وظائف تساعدهم على إلحاق الضرر بالدولة، ولم تطبق الدولة

---

1) الصلابي، مرجع سابق، ص376.

2) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، ص 392.

3) الكتاني، مرجع سابق، ص320.

4) المدني، المرجع السابق، ص378.

هذا القرار إلا بعد مضي سنة كاملة على اتخاذه، لأنها أرادت تهيئة الجو وترتيب الوضع قبل تطبيق قرار في هذه الأهمية، ومع أنه من حق ملوك إسبانيا اتخاذ أي قرار يؤثر على أملاك وأرواح رعاياهم، في إطار نظام الملكية المطلقة حينذاك، فإنهم لم يستعملوا في الماضي هذا الحق إلا في حالات فردية[1].

لذا فضل الملك فيليب الثالث، لأسباب انتهازية، أن يكون قراره في طرد طائفة بكاملها من رعاياه مبنيًّا على حكم قضائي، على الأقل ظاهرًا، ناتج عن دولة يسودها العدل، حتى يبين للجميع أن الأندلسيين طردوا من إسبانيا نتيجة حكم "عادل" لكونهم "كفرة" بالدين النصراني و"خونة" للدولة الإسبانية [2]، أما "كفرهم" فلا يمكن أن تشهد به إلا الكنيسة الكاثوليكية وبما أن بابا روما رفض إصدار قرار بتكفير جماعي لكل المورسكيين رفع الملك الموضوع إلى لجنة كنسية، وفي 22/ 11 / 1608 م، اجتمعت اللجنة في بلنسية برئاسة نائب الملك لمملكة بلنسية وعضوية ماركيز "قرسينة" وأساقفة سقربة وبلنسية وأريولة وطرطوشة[3].

وتتابعت اجتماعات اللجنة حتى مارس سنة 1609 م، ولم توافق اللجنة على قرارات مجلس الدولة الأعلى ولا على رأي رئيس الأساقفة، بل أوصت بمتابعة مجهودات التنصير باللين، ومطالبة البابا بفترة عفو جديدة تدوم عدة سنوات تتوقف إبانها محاكم التفتيش عن متابعة المورسكيين، ولم يعجب الملك رأي المجلس الكنسي الذي عينه إذ لم يتماشى مع ميله إلى الطرد، لهذا فإن الملك الكاثوليكي، وقد رأى أنه من أجل الوصول إلى نتيجة غير أكيدة وجب عليه المرور بكل هذه الأتعاب، وإذا لم يطبق قراره المقدس في طرد المورسكيين فسيكتسبون الوقت اللازم لإنجاز خياناتهم وقراراتهم في القضاء على إسبانيا ولإنجاز أمر الطرد فقد أمر بالإسراع بتنفيذ رأي دوق ليرما [4].

ب) محاولة الدعم الفرنسي للموريسكيين:

كان فيليب الثاني متخوف من مسلمي مملكة أراغون القديمة، خاصة بعد سنة 1580م، ففي سنة 1588م، أمر بتحصين الحدود بين أراغون القديمة وبيارن الفرنسية

1) رضوان، مرجع سابق، ص282.

2) الصلابي، مرجع سابق، ص342.

3) الكتاني، مرجع سابق، ص325.

4) رضوان، المرجع السابق، ص282.

وبين مملكة أراغون القديمة ومملكة بلنسية، حتى يعزل مسلمي أراغون القديمة عن البروتستانت الفرنسيين (الهوكونو) وعن المسلمين البلنسيين، ورغم تحول "هنري دي بوربون"، زعيم الهوكونو، إلى الدين الكاثوليكي عندما أصبح ملكًا على فرنسا تحت اسم هنري الرابع[1]، فقد بقي على عدائه لإسبانيا، وتابع علاقته بالموريسكيين، وأصبحت الدولة الإسبانية تنظر إلى علاقة "هنري الرابع" بالموريسكيين بتخوف أكبر، إذ أصبحت سياسة لدولة مجاورة ومنافسة [2].

و في سنة 1602 م، فكر الهوكونو في مساعدة مسلمي أراغون على الثورة، فأرسل دوق "دي لافورس" (De Laforce)، حاكم "البيارن" الفرنسية، مرسولاً اسمه "سان سيبستيان" (San Sebastian) إلى بلنسية (Valencia) للاتصال بفرنسي يسكنها اسمه "مرتين دي إيريوندو"(Martin De Ereondo) بصفته وسيطًا بين الهوكونو والمورسكيين وشكّل الموريسكيون لجنة مكونة من خمسة ممثلين لتمثيلهم في المفاوضة مع الفرنسيين بهدف تهييئة ثورة مورسكية شاملة، ثم أرسلت اللجـــنة ميغيل ابن الأمـــين أحد أفرادها إلى الملك هنـــري الرابع [3].

وأخذ ابن الأمين معه للملك الفرنسي تقريرًا يشتكي فيه الموريسكيون من سوء معاملة محاكم التفتيش التي تضاعف ضرائبها على الموريسكيين بأخذ ريالين من كل رب بيت وتستولي على أموالهم، وبيّن التقرير ضعف الوجود العسكري الإسباني في مملكة بلنسية وسهولة تنظيم ثورة إسلامية شاملة بكل سرية، لقلة الوجود النصراني في القرى الإسلامية لذا يؤكد الموريسكيون في تقريرهم إلى الملك الفرنسي، إذا وصلت البحرية الفرنسية إلى

---

1) **هنري الرابع (هنري نفار) (1553 – 1610 م):** أول ملك من أسرة بوربون على فرنسا ، ابن انطوان دي بوربون و جان دالبريه، و عند وفاتها اعتلى عرش نفار 1572م، تولّى الزعامة سنة 1569م على حزب الهيجونوت (البروتستنانت)، و عندما عيّنه هنري الثالث وريثا افتراضيا، رفضته العصبة الكاثوليكية و قامت حرب الهنريين، و هزم هنري نفار هنري الثالث في كوتراس 1587م و انتهت في سنة 1598م حربه مع إسبانيا حليفة العصبة الكاثوليكية بعقد معاهدة فرفنز، و في السنة ذاتها أسس التسامح الديني عن طريق مرسوم نانت. **أنظر: الموسوعة العربية الميسرة،** مج 7، مرجع سابق، ص 3522 .

2) الكتاني، مرجع سابق، ص330.

3) رضوان، مرجع سابق، ص282.

مرفأ "دانية" وزودت الموريسكيين بالسلاح، فسيمكنهم تسليح 60.000 رجل، ويصبح بذلك تحرير بلنسية من الإسبان شيئًا مؤكدًا[1].

كما أكدوا في التقرير مقدرتهم على تسليح 40.000 رجل من مسلمي أراغون القديمة، وأكد التقرير أنه في حالة إبحار فرنسي، فسيجد الفرنسيون مساندة ليس من المسلمين فقط، بل حتى من اليهود والبروتستانت والكاثوليك غير الراضين على الأوضاع عاد ميغيل بن الأمين من فرنسا بعد انتهاء مهمته، مصحوبًا برسول من دوق دي لافورس، اسمه "دي بانيسو" (De Banisau) ، وتوجها إلى بلنسية مختفين في زي تاجرين[2].

ج) مساهمة الجزائر في التخطيط للثورة:

وفي ديسمبر عام 1605 م، عقد زعماء الموريسكيين اجتماعًا في بلدة توغة حضره 66 ممثلاً عنهم وعشرة جزائريين وميغيل بن الأمين ودي بانيسو، و انتخب الموريسكيون في ذلك الاجتماع "لويس عسكر" رئيسًا عليهم، وهو مسلم من بلدة "الأقواس" بمملكة بلنسية، وخططوا للثورة نهاية الأسبوع[3].

و في نفس الوقت تصل ميناء الغراو أربع سفن فرنسية محملة في الظاهر بالقمح وفي الحقيقة بالأسلحة للثوار، وعند سقوط مدينة بلنسية، يحتل الثوار باقي مملكتها، ثم إسبانيا كلها، هكذا رجع بانيسو بهذا المخطط إلى فرنسا، لكن أحد المشتركين في الاجتماع أوصل الخبر إلى السلطات الإسبانية، فقبضت على أكثر زعماء الموريسكيين الذين حضروا الاجتماع، وعذبتهم حتى اعترفوا ثم أعدمتهم[4].

يبدوا أن هنري الرابع لم يكن جادًا في مساعدة مسلمي بلنسية على الثورة، بل أراد فقــط الاحتفاظ بعلاقته معهم في حالة قيــام حرب بينه وبين إسبانيا، أما الدولة الإسبانية فقد كانت تأخــذ هذه التهديــدات مأخذ الجد، لكن رغبة الوزيــر دوق دي ليــرما في

1) الكتاني، مرجع سابق، ص334.

2) نفسه، ص336.

3) نفسه، ص346.

4) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص 369 .

طـــرد الموريسكيين كانت بدافع طمعه في مالهم أكثر من مصلحة الدولة الإسبانية أو الكنيسة [1].

و كان هؤلاء الموريسكيون أهل همّة و نجدة، و صناعة وفن ومال، لم ينسوا دولتهم ولم ينسوا دينهم ولم يتخلوا عن آمالهم بعد مائة وعشرين سنة من تحطيم الإسبان لدولة غرناطة، و بعدما لحقهم ظلم وإرغام على اعتناق المسيحية ظاهرا، وهم يكتمون الإيمان فتآمروا مغتنمين فرصة ضعف إسبانيا واضطرارها لعقد معاهدة لاهاي سنة 1609م، مع الثائرين عليها من رجال الفلاندر بشمال أوروبا، وقرروا إعلان الثورة ودخلت في مؤمراتهم هذه دولة فرنسا، عدوة إسبانيا التقليدية، و كان على رأس فرنسا يومئذ الملك هنري الرابع، كما أدخلوا في الخطة دولة الجزائر، وكان على رأسها رضوان باشا[2].

وكانت هذه الخطة على هذا الشكل:

يتحرك الأسطول الفرنسي حاملا جيشا فرنسيا قويا إلى إسبانيا وينزل بمدينة "دانية" و يتحرك الأسطول الجزائري في نفس الوقت نحو دانية، لكي يحمي عملية نزول الفرنسيين إلى البر ولكي ينزل هو أيضا رجاله بعد ذلك، في نفس الساعة يقوم ألف رجل من بقايا مسلمي الأندلس بثورة عامة داخل البلاد، وراء وخلال صفوف الجيش الإسباني فيقع بين نيران الفرنسيين والمسلمين و قد كان لباب العالي أيضا حسابا للمشاركة في العملية باعتبار حسابات جزيرة قبرص[3].

د) فشل الثورة :

لكن بينما كانت الإستعدادات تجري في كل جانب على قدم وساق انكشفت المؤامرة الثلاثية، وبالتالي تمكن الإسبان من أخذ الحيطة والحذر، و أعلن الملك الاسباني في يوم 22 سبتمبر 1609م إبعاد كل موريسكي من أرض إسبانيا وأعطاهم لذلك أجلا لا يتعدى ثلاثة أيام، حتى يصلوا إلى الموانئ المعنية لهم من أجل ركوب البحر إلى شواطئ الضفة المقابلة[4].

---

1) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص370.

2) نفسه، ص392.

3) وولف، مرجع سابق، ص85.

4) المدني، المرجع السابق، ص393.

وهكذا خرج من إسبانيا آخر فوج من بقايا مسلمي الاندلس الذين اعتنقوا المسيحية ظاهرا، و أغلبيتهم العظمى كانت من أهل البلاد الذين اعتنقوا الإسلام منذ أجيال عديدة وجاء معظمهم على متن السفن الجزائرية إلى عاصمة الجزائر ومنهم من نزل بتونس وتطوان، وطويت صفحة الإسلام بإسبانيا إلى اليوم، و يقدّر عدد النازحين هذه المرة بنحو نصف مليون نسمة[1].

1) المدني، **حرب الثلاثمائة سنة..**، مرجع سابق، ص393.